



العلاقة بين الحاكم والشعب ليست علاقة نفعية، فحسب، والنظرة إليه تقديرًا، أو رفضًا، ليست مبنية، فقط على أداء مؤسساته، وحسن رعايتها، هذا طبعًا في البلد التي تبني دولها على المؤسسات..

العلاقة تقوم على ذلك، وعلى احترام الحاكم **لقيم هذا الشعب**، ووفائه للعقد الذي قامت العلاقة بينهما عليه، وفي صميم ذلك قدرته على حماية شعبه، وتوفير الأمن بكل تجلياته لهم؛ فأين تذهب هذه العلاقة حين يتحول الحاكم قاتلاً للشعب، لرجاله ونسائه، وأطفاله وشبابه؟!

العلاقة بين الدولة وشعبها علاقة **عضوية**. صحيح أنها ليست كذلك في معظم البلدان العربية، لكن التراكمات الكمية، تؤدي - كما يُقال - إلى تغيرات نوعية؛ فبعد أن قتل بشار الأسد ما يزيد عن سبعة آلاف من أبناء شعبه، واعتقل عشرات الآلاف ورملآف النساء، ودمّر أسرًا بأكملها، وعادى قطاعات، بل اقتحم مدناً وحاصرها، فعل العدو شبراً بشبر، وذراعاً بذراع... ألم يَغْدُ محتلاً مجرماً وغريباً؟!

نطرح هذه الأسئلة، ونحن ندخل مرحلة جديدة يُعاد فيها ترتيب العلاقة بين الشعوب العربية والدول التي تحكمها، أو السلطات التي تضبطها؛ لأن مفهوم الدولة أوسع من مجرد جهات تنفيذية تحكم إلى حزب، أو أسرة، إنها مجموعة من المؤسسات التي انبثقت من إرادة الشعب، ووُجِدت من أجله، تتبدل الحكومات، وتبقى الدولة.

لكن **الحاصل في بلاد عربية كثيرة**، ومنها سورية التي تشهد استقطاباً يهدّد بانقسامات عميقة في نسيج المجتمع، هو وثوب فتنة إلى الحكم، في ظروف غير طبيعية، على غفلة من الناس، ثم استئثارها بالحكم، وثروات البلد ومقدراته، دونهم، وفوق هذا، الكتم على أنفاس الناس، وتخوين كل من لا ينخرط في خطابهم الانتقائي الشعاراتي.

هذا الوثوب غير الشرعي إلى الحكم قائم على حساب **شخصية الدولة**، وتمثيلها للشعب كله، ولذلك صُمممت أجهزة الأمن والفرق الخاصة؛ من أجل حماية هذه الطّغمة الفاسدة للحكم والإرادة.

ليتجلى دورها في هذا الوقت الذي خرجت فيه جموع الغاضبين، ومن فاض بهم كيل التهميش.. ليتجلى دورها في الدفاع المجنون عن هذه السلطات، ولو أدى ذلك إلى تخريب صورة الجيش في نظر أبناء وطنه، والسيطرة على مهمته العليا في

حماية البلاد من أيّ عدوan خارجي.

ولو أدى هذا الانفلاتُ الأهوجُ من تلك الفرقـة الخاصة (الرابعة) العمـاء الـلـواء إلى قصف الأحياء السـكـنية وترويع الأهـالي، في كلـ المـناطق المـنـتفـضة، حتى لو خـلت تلك المـناطق من أـيـة شـبـهة بـوـجـود جـمـاعـات مـسـلـحة، كما حدـث مـرارـاً في قـلب العاصـمة دـمـشـق، وـمـنـها حـيـ البرـزة. من الواضح أنـ النـظـم الرـاسـخـة لا تـتـصـرـف بـهـذا الـقـدـر من الـوحـشـيـة، ولا تـحـتـاج إـلـيـها، ولـكـ من يـتـورـط في هذا المـنـحدـر إنـما هو الـخـافـف حتـى العـداـوة، والـيـائـس حتـى قـطـع كـلـ الـخـيوـط بيـنـه وـبـيـنـ فـئـات وـاسـعـة من شـعـبـه.

بالـطـبع لا يمكن للـعـلـاقـة أـنـ تـنـكـشـف سـافـرـة إـلـى عـلـاقـة مـحتـلـ؛ لأنـها في الأـسـاس لمـ تـبـنـ عـلـى ذـلـكـ، هـذـا سـبـبـ، وـالـسـبـبـ الثـانـيـ، أـوضـحـ، وـهـوـ أـنـ الطـغـمـةـ الـحاـكـمـةـ لـيـسـ لـهـاـ شـعـبـ آخرـ غـيرـ هـذـاـ الشـعـبـ، كـمـاـ هـوـ حـالـ (إـسـرـائـيلـ)ـ فـيـ فـلـسـطـينـ، مـثـلاـ. أـمـاـ الـعـلـويـونـ الـذـيـنـ يـمـثـلـونـ قـرـابـةـ 8%ـ حـسـبـ بـعـضـ التـقـيـدـاتــ. فـهـمـ لـاـ يـقـوـونـ عـلـىـ التـصـدـيـ لـمـاـ تـبـقـيـ مـنـ الشـعـبـ فـيـ سـوـرـيـةـ، فـضـلـاـ عـنـ كـوـنـهـمـ لـيـسـواـ مـحـسـوبـينـ مـعـ النـظـامــ. فـقـدـ أـصـدـرـتـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـمـتـقـيـنـ الـعـلـويـينـ بـيـانـاـ جـرـيـاـ فـضـحـوـاـ فـيـ مـحاـولـاتـ الـنـظـامـ السـوـرـيـ رـبـطـ الطـائـفةـ الـعـلـويـةـ بـهـ وـبـنـظـامـهـ..

وـدـعـواـ الـمـوـاطـنـيـنـ الـسـوـرـيـنـ الـعـلـويـيـنـ وـأـبـنـاءـ الـأـقـلـيـاتـ الـدـيـنـيـةـ وـالـقـومـيـةـ الـمـتـخـوـفـيـنـ مـمـاـ سـيـلـيـ اـنـهـيـارـ النـظـامـ إـلـىـ الـمـشارـكـةـ فـيـ إـسـقـاطـ النـظـامـ الـقـمـعـيـ، وـالـمـسـاـهـمـةـ فـيـ بـنـاءـ الـجـمـهـورـيـةـ الـسـوـرـيـةـ الـجـدـيـدـةـ، دـوـلـةـ الـقـانـونـ وـالـمـوـاطـنـةـ. كـمـاـ أـكـدـواـ عـلـىـ وـحدـةـ الشـعـبـ السـوـرـيـ بـكـلـ أـطـيـافـهـ الـدـيـنـيـةـ وـالـقـومـيـةـ، وـالـعـمـلـ عـلـىـ بـنـاءـ دـوـلـةـ حـرـةـ دـيمـقـراـطـيـةـ تـحـفـظـ حـقـوقـ مـوـاطـنـيـهـاـ بـالـتـساـويـ، وـهـذـاـ لـاـ يـتـمـ إـلـاـ بـإـسـقـاطـ النـظـامـ الـاـسـتـبـداـيـ الـحـالـيــ.

وـلـاـ يـقـتـصـرـ الـأـمـرـ عـلـىـ الـمـتـقـيـنـ الـعـلـويـيـنـ؛ فـبـحـسـبـ عـضـوـ الـمـجـلـسـ الـو~طنـيـ السـو~ر~ي~، خـالـدـ كـمـالـ، أـنـ عـدـدـ كـبـيرـاـ مـنـ الـعـلـويـيـنـ أـكـدـواـ لـهـمـ أـنـهـمـ ظـلـمـواـ مـاـ ظـلـمـ الـآخـرـونـ.

وـفـوـقـ ذـلـكـ فـإـنـ زـعـماءـ هـذـهـ الطـائـفةـ وـمـشـاـيخـهـاـ يـسـتـبـعـ أـنـ يـتـصـفـواـ بـضـيقـ الـأـفـقـ، أـوـ قـصـرـ النـظـرـ؛ فـيـنـسـاقـوـاـ وـرـاءـ الـأـسـدـ وـعـصـابـاتـ، وـيـقطـعـوـاـ كـلـ الـوـشـائـجـ الـتـيـ تـرـبـطـهـمـ بـأـبـنـاءـ وـطـنـهـمـ، وـأـبـنـاءـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ الـآخـرـينـ.

وـالـمـرـجـحـ أـنـ يـنـهـجـواـ نـهـجـ الزـعـيمـ الدـرـزـيـ وـلـيـدـ جـنـبـلـاطـ الـذـيـ – عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ تـقـلـبـاتـهـ الـكـثـيـرـ وـمـرـاـغـاتـهـ مـنـ عـدـوـ إـلـىـ صـدـيقــ. يـظـلـ يـلـحـ، فـيـ خـطـابـهـ إـلـىـ طـائـفـهـ، عـلـىـ أـهـمـيـةـ اـنـدـمـاجـ الدـرـوزـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـأـنـ لـاـ يـتـقـوـقـعـوـاـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ، حـتـىـ فـيـ الـأـوـقـاتـ الـعـادـيـةـ، وـحـتـىـ لـوـ كـانـ هـذـاـ التـقـوـقـ لـاـ يـعـنـيـ الدـخـولـ فـيـ صـرـاعـاتـ مـعـ الـأـغـلـيـةـ.

بـالـطـبعـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ يـؤـثـرـ الـانـهـيـازـ إـلـىـ الشـعـبـ، وـالـوـطـنـ، وـبـذـلـكـ يـمـكـنـ الـحـفـاظـ عـلـىـ حـيـاةـ طـبـيعـيـةـ، فـيـ حـالـ تـحـقـقـ التـغـيـيرـ الـمـنـشـودـ مـنـ الـقـوـىـ السـو~ر~ي~، وـهـوـ دـو~ل~ة~ لـكـل~ م~و~اط~ن~ه~ا~.. هـذـاـ الـمـنـطـقـةـ لـيـسـ قـانـونـاـ ثـاـيـتاـ، وـلـاـ سـيـماـ، إـذـاـ أحـاطـتـ بـالـعـلـويـيـنـ، وـبـغـيـرـهـمـ فـيـ الـطـوـائـفـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ ظـرـوفـ الـاحـتـقـانـ الـطـائـفيـ، وـمـنـ الشـرـقـ الـعـرـاقـ الـذـيـ تـنـذـرـ أـزـمـتـهـ السـيـاسـيـةـ بـيـنـ رـئـيـسـ الـوـزـراءـ، نـورـ الـمـالـكـيـ، وـنـائـبـهـ، طـارـقـ الـهـاشـمـيـ بـأـجـوـاءـ خـطـرـةـ بـيـنـ الشـيـعـةـ وـالـسـنـنـةـ.

فـالـخـطـورـةـ فـيـ أـنـ يـجـبـ النـاسـ عـلـىـ خـيـارـاتـ لـاـ يـرـيدـونـهـاـ، كـمـنـ حـسـرـ فـيـ وـسـطـ زـحـامـ مـنـ النـاسـ؛ فـتـرـاهـ يـنـدـعـ بـغـيرـ حـرـكـتـهـ الذـاتـيـةـ.. فـالـخـوـفـ إـنـمـاـ هوـ مـنـ الصـرـاعـاتـ السـيـاسـيـةـ الـفـوـقـيـةـ أـكـثـرـ مـاـ هوـ مـنـ التـنـاقـضـاتـ، أـوـ الفـرـقـ الـمـذـهـبـيـةـ الـطـائـفـيـةـ؛ لـأنـ غالـيـةـ النـاسـ يـنـهـمـكـونـ فـيـ أـمـورـ حـيـاتـهـمـ الـلـيـوـمـيـةـ وـشـؤـونـ مـعـاـشـهـمـ، وـقـدـ عـاـشـوـاـ مـعـاـ قـرـونـاـ، دونـ أـنـ يـتـخـلـلـهـاـ الصـرـاعـ الـطـائـفـيـ إـلـاـ قـلـيلـاـ، ذـلـكـ أـنـ الـقـوـاعـدـ الـدـيـنـيـاـ لـاـ تـرـازـ لـاـ ضـرـورةـ لـمـثـلـ هـذـهـ الصـرـاعـاتـ، وـمـاـ يـتـرـتـبـ عـلـيـهـ مـنـ قـتـلـ وـتـهـجـيرـ وـتـضـحـيةـ بـالـمـصـالـحـ وـالـاسـتـقـارـ.. فـإـنـاـ ضـمـنـتـ لـلـعـلـويـيـنـ وـغـيـرـهـمـ حـقـوقـ الـمـوـاطـنـةـ فـلـنـ يـخـتـارـوـاـ الـاحـتـارـ الـمـفـضـيـ إـلـىـ الـإـقصـاءـ وـالـتـهـمـيـشـ. أـوـ إـلـىـ مـصـيرـ مجـهـولـ.

فـالـخـاسـرـ الـأـكـبـرـ فـيـ هـذـاـ الرـهـانـ هـوـ الـنـظـامـ الـذـيـ لـمـ يـكـنـ يـسـتـنـدـ إـلـىـ كـثـيرـ مـنـ الشـرـعـيـةـ الـدـاخـلـيـةـ، أـصـلـاـ، وـلـمـاـ اـنـدـلـعـتـ الـثـورـةـ انـكـشـفـ عـنـ مـحـتـلـ، فـيـ ثـيـابـ نـظـامـ وـطـنـيـ مـمـانـ!

